المصدر: الاهرام
التاريخ : ١٤ اغسطس ٢٠٠٢

السودان..
وخيار الطريق الثالث

لقد اثار اتفاق «إطار ماشاكوس» الذى توصلت إليه «حكومة السودان» والحركة الشعبية المعارضة من الهزاهز والتاملات والتاويلات، ما برهن من جديد على اهمية الشان السودانى عند مصر رغم شغلها بقضية فلسطين الام وشغلنا بها.. ولكن حجب هذا الاهتمام الكثير من «الموضوعية» خصوصا فى الجوار العربى والإفريقى فإن فرحة السودان به تجاوزت فرحة الصارى إلى السلام بعد اكثر من نصف قرن من اثار حرب بين الاشقاء لم تترك، ولم تذر، ولو ان الاتفاق نفسه هو ضوء بعيد فى الافق الطويل الذى مازال واجبا عبوره للوصول لسلام دائم شاق وعسير... لقد جاء الاتفاق فى وقت يحفل فيه المجتمع الدولى بمخاوف وهمية او حقيقية ويكاد يتنكر لكل مبادئ حقوق الإنسان وحقوق الشعوب، وكذلك جاءت المفاجاة تختلف بين التاييد المطلق او الرفض المطلق ونقترح هنا طريقا ثالثا للنجاة ان دور مصر الازلى، وهى تؤيد مصير الوادى الواحد وتؤكد أثر ثورة يوليو فى تغيير المسار وصواب موقفها الشديد من استقلال السودان الجديد يشبه اسطورة خلاف المراتين على الطفل الذى حكم فيه «سليمان» برده لصاحبة الحق عندما قبلت الأخرى فصله .. إن وحدة اجزاء الوادى هى ما تهم مصر وتهمنا، وان اخواننا فى الجنوب مهما اختلفت اتجاهاتهم فهم جزء من هذا الكيان الذى نريده قويا فى هذا الموقع الهام من العالم ليسؤدى دوره فى السلام، وفى الرفاهية... ولسنا هنا بصدد تحديد مسئولية ما او محاكمة ما، فكلنا اخطا وكقول المسيح من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر...

ثم بعد: إن اتفاق الاطار يجىء «كحفل زفاف» لعرس يجب أن نعد له نفوسنا جميعا وعلينا عربا وافارقة ان نبنى من هذا الإطار «المنزل السعيد» وعلى المجتمع الدولى أن يحسن النوايا ويترك لابناء السودان جميعا حكومة ومعارضة أن يكملوا المشوار ويختاروا طريق النجاة..

ولا اهدف هنا إلى التذكير بنصوص الاتفاق - الإطار، والذى قتله البعض تحليلا وتاويلا حتى قبل ان يطلعوا على النص الموثق، وبمجرد الاستماع والانطباع لعمرى هذا الذى جعل القطار يفوتنا لنبكى على اللبن المسكوب..

وكما يعلم القارئ ان هذا الاطار تناول اجزاء ثلاثة - خصص اولها للديباجة والمبادئ، بينما تناول الجزء الثانى «عملية الانتقال» وهو الجديد فى هذا الاتفاق، الاطار، والذى سبق إليه مبعوث الرئيس بوش «جون دانفورث» فى تقريره الخاص له الذى وضع مثلا للحل منطقة جبال النوبة، والذى لم يغفل الحديث فيه عن «حق تقرير المصير» للجنوب كما اتهم من بعض الدوائر الجنوبية أو الأمريكية، ولكنه اقترحه بطريقة غير مباشرة.

واشرت فى مقال عنه بجريدة الأهرام إلى تدويل القضية السودانية منذ شهر أو اكثر، واما الجزء الثالث من الاتفاق فقد تناول هيكل السلطة ونظام الحكم المؤقت الذى يستمر ست سنوات بعد ستة اشهر تمهيدية، ولن اطيل الحديث عن جزء الهيكلة أو حتى فترة الانتقال لأن المفاوضات المقبلة، ستتناول هذه الاجزاء بالتفصيل، ولكن جوهر الاتفاق هو الذى نص على مبدأين اساسيين... حيث شعع هذا الاتفاق بالنص على مبدأين منفصلين هما العقبتان فى اى اجتماع سابق للتفاوض فى هذه الاجتماعات التى استمرت ٨ سنوات، اما المبدأ الاول فقد تناول «الدين والدولة» واما المبدأ الثانى فقد اكد «حق تقرير المصير لأهل جنوب السودان».. وليسمح لى أن اقف سريعا عند الجزء الأول من هذا الاتفاق الاطار لأهميته فى المرحلة المقبلة التى يستعد فيها الطرفان الموقعان لاستئناف مفاوضات التفعيل خصوصا اتفاق السلام النهائى بعد وقف اطلاق النار...

ومنذ البداية يتحتم علينا ان نذكر ان الطرفين لم يستبعدا الاطراف الاخرى لأنها لم تشترك فى الماضى ولكن لم يكن واضحا مضمون المساهمة وهنا يجب ان نتضافر جميعا فى أن تتم المشاركة الفعلية لكل الاطراف السودانية، وايضا ان تنضم مصر وليبيا إلى مائدة المفاوضات المقبلة، وإلا فإن «الحل الشامل» لن يتم والمبدأ الديمقراطى لن يتحقق والسلام سيراوح من جديد دون أن يكون حقيقيا.

والنقطة الأولى التى اريد ان اثيرها هى أن الجزء الأول من الاتفاق الإطار، والذى تعرض للإطار، ذكر فى ديباجته أن المبادئ التى اتخذها هى اصلا مبادئ «الإيجاد» الاقليمية للتنمية التى سبق ان اتفق عليها الطرفان ثم

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

تغير الموقف، وفى النص الموثق الذى امامى من مبادئ اتفاق «الايجاد» نجد واضحا بعض التطابق بين النصين من رفض للحل العسكرى، وإيمانا بالحل السلمى وتاكيدا لحق تقرير المصير لمواطنى جنوب السودان لتحديد وضعهم المستقبلى عن طريق الاستفتاء.

والأولوية للمحافظة على وحدة السودان متعدد الاعراق والإثنيات والديانات والثقافات وتامين التنوع وحق المواطنة وتطبيق مبدا الفيدرالية.

ويؤكد اتفاق مبادئ «الايجاد» على تقسيم الثروة والحفاظ على حقوق الإنسان واستقلال القضاء وتؤكد المبادئ على ان تقوم فى السودان ديموقراطية علمانية.

وتحليل المقاربة بين مبادئ اتفاق الاطار ومبادئ الايجاد يدفعنا أيضا للمقاربة بينهما وبين مبادئ المبادرة المصرية - الليبية المشتركة هذه المبادئ التسعة التى احتوتها المبادرة تؤكد بوضوح ضمان وحدة السودان، والتى تكررت فى غير بند من بنود المبادرة، ولكن المبادرة ايضا اصرت على حق المواطنة فى السودان والاعتراف بالتعدد العرقى والدينى والثقافى للشعب السودانى، وأكدت

المبادرة الحكم الراشد وقيام دولة المؤسسات والديمقراطية التعددية ووجوب قيام نظام الاحزاب والفصل بين السلطات وكفالة الحريات الاساسية، وضمان حقوق ممارستها وانفاذها وحقوق الإنسان بصفة عامة، وتحدثت المبادرة عن القيم السائدة بما فيها طبعا القيم الدينية، وحرية العبادات وتحدثت المبادرة عن عدالة توزيع الثروة إلى جانب توزيع السلطة كل ذلك فى ظلال مختلفة، ولكن يمكن التوفيق بينهما عند التفاوض المقبل.

أن المقاربة بين مبادئ الإطار ومبادئ الايجاد ومبادئ المبادرة المشتركة لا ينفى الخلاف بينها فى نقاط كثيرة واهمها فى نظرى مبدأ «حق تقرير المصير» فبينما لم تذكر المبادرة هذا الحق، ولم تتعرض له إلا أنها لا تنفيه حين ذكرت أن امر مصير السودان متروك للسودانيين وحدهم وهم الذين يقررون مصيرهم الوحدوى...

اما الايجاد واما اتفاق الاطار فإن الاصل فيهما التوجه إلى وحدة السودان بشرط قيام نظام ديمقراطى بكل ما يتطلبه هذا النظام من مبادئ وحقوق ومستلزمات ودراسات تنموية وغيرها...

وهنا ذكرت مبادئ الايجاد «حق تقرير المصير» كحق جزائى يمنح للجنوبيين اذا لم تتحقق الوحدة فى جو من الديمقراطية وحقوق الإنسان وعدالة التوزيع والحفاظ على حرية العبادة والتعبير عنها.

واما اتفاق الإطار فانه تفرد باقتراح تفصيلى عن «فترة انشغال» مدتها ست سنوات تسبقها فترة تمهيدية قدرها ستة أشهر - وأنه على السودانيين جميعا خصوصا الذين يتولون الحكم أن يعملوا على أن يكون هذا النظام المؤقت جاذبا للجنوبيين للاستمرار فيه والا اذا لم يتم هذا يعطى للجنوبيين عن طريق الاستفتاء الحق فى الانفصال..

وملاحظتنا السريعة هنا أنه بينما تحدث عنوان هذا الجزء من اتفاق الاطار عن حق تقرير المصير لأهل جنوب السودان، لم يرد فى النص عنه الا الحديث عن «الانفصال» ومعروف ان حق تقرير المصير شئ اخر غير «الانفصال» ويجب ان نراجع هنا حيثيات وقرارات مؤتمر الأمم المتحدة عن تقرير المصير الذى عقد فى جنيف عام ٢٠٠٠.

وهذا يتطلب دراسة علمية نرجو أن تتم فى فترة المفاوضات وتفصل فى مرحلة الانتقال لانها دراسة عملية واعية.

وبعد تعرض اتفاق الإطار إلى «سيناريو» اصلى وهو قيام دولة موحدة لم يذكر وصفا

- هيكليا يمكن ان تنسب اليه فيدرالية او كونفيدرالية «او نوع خاص اخر، وهذا ليس ضرورة، وليس عيبا ولكن هذا السيناريو لا يدعو إلى الانفصال، وإنما يدعو إلى سودان واحد بشروط كثيرة اهمها ثلاثية الدستور الذى يميز بين مصادر التشريع فيه اقليميا
- وليست الضرورة للشمال أو الجنوب هذه الدولة الجديدة للدين والقيم الروحية مكانة فيها، ولكن المواطنة هى الفصل والفيصل هذه الدولة أيضا وهى تطبق مبادئ حقوق الإنسان، تطبق أيضا مبادئ العدالة فى السلطة والثروة هذه دولة مثالية وتلعب فيها المراقبة الدولية دورها لاستدامتها ونجاحها، وليت الذين ينصحوننا بها يجعلونها المثل للتطبيق فى بلادهم.... مثل بلادنا اما «السيناريو» الثانى فهو أن يعطى لأهل الجنوب حق الانفصال...

لم يحدد هذا السيناريو شكل الدولة الجديدة فى الجنوب والتزاماتها ولم تحدد هويتها، ولم يشترط لقيامها أى شروط كالتى اشترطها للسيناريو الأول، ولم يحدث عن علاقتها بجيرانها سواء الافارقة أو العرب - وترك كل ذلك لمفاوضات أخرى أو لم يشأ الوسطاء أن يتعرضوا إلى «المجهول» واكتفوا بمعالجة المعلوم.. أو المفهوم على الأقل... اننا نهيب بالقوى السودانية الفاعلة سواء فى داخل السودان أو خارجه ان توحد مناهجها وتقرر مصيرها هى، ومصير السودان....

ولا نرى هنا بديلا من طريق ثالث هو طريق النجاة... مختلفا عن طريق المغامرة.. والمشاورة ... هذا الطريق هو قيام الدولة السودانية على مبادئ الديمقراطية والحفاظ على حقوق الإنسان والجوار الإفريقى العربى، وبعد اننا نهنىء اخواننا فى الجنوب، وقد

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

خطوا نحو تقرير مصيرهم فى غير اكراه، وبرغم المهارة التى ابداها مفاوضهم، والتى نشهد لهم بها، إلا أننا ايضا نريد من الجنوبيين ان يعتبروا هذا الحق حسن نية من اخوانهم فى الشمال بهم وعله يغفر عنا ما حملنا من ذنوب ومظالم... ولكنا على ثقة من أن اخواننا فى الجنوب وهم أولا سودانيون من الدرجة الأولى سيحسنون مباشرة هذا الحق... ان ما تحاول بعض الجهات ان تشير إليه من ان وجود النفط فى السودان واحتمالات تطوره سيغرينا بالانفصال نرد عليه باننا فرغنا من وقت قريب من الموافقة على مبادرة النيل فى اروشا سنة ١٩٩٨، وأن هذه المبادرة قد اعادت حق المياه فى النيل لعصمة دوله جميعا، وأن النهر أصبح مصدر سلام بين دوله، وليس مصادر نزاع كما اريد له ان يكون، وأن مثل المياه تلك الذهب الأبيض يمكن أن يحتذى مع النفط ذلك الذهب الاسود أننا نفهم ان منطقتنا ارتفعت إلى مناطق النزاع حول الطاقة الذى نشهده فى العالم، ولكننا وبحسن النوايا سنحيله إلى مصدر طاقة للسلام كالمياه، وليس فقط للسودان جنوبه وشماله، ولكن للمنطقة جميعها، حيث يقوم كيان اقتصادى وسياسى كبير يضم كل اجزاء النيل.

إننا نهيب بالجميع خصوصا الحكومة والاحزاب والتجمع أن توحد كلمتها وتعد مناهجها وهذه هى الرسالة الحضارية الجديدة.

اننا نهيب بالجميع أن يتسع العمل فيشمل المثقفين والجامعات، وكل المجتمع المدنى وهيئاته حتى يصير العمل جماعيا...

ولابد من سيادة الديمقراطية بدءا ومنتهى، وان مصر العظيمة التى وحدت الأحزاب فى السودان حول الاستقلال نطلب منها ان تعيد نورها وتطلب من الحكومة والتجمع وكل الاحزاب ان تسلك هذا الطريق الثالث، طريق الاعتماد على النفس وتفادى تدويل المشكلة، والتى قد تخرج من ايدينا فى يوم من الأيام إذ إن التدخل الدولى سهل القدوم صعب الخروج، ولا نحتاج إلى ادلة كثيرة لذلك.

علينا جميعا أن نغير ما بانفسنا حتى يغير الله ما بنا.

بشير البكرى

سفير سابق ومفكر سودانى

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية